مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: خاص جانفي 2022
العنوان: رُواد الاستشراق الألماني والحضارة العربية... ص.ص 731- 759.

رُوَّاد الاستشراق الألماني والحضارة العربية الإسلامية "إسهامات علمية واستدراكات نقدية"

محمد عيساوي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال:2020/03/30؛ تاريخ القبول:2020/07/18

Pioneers of German Orientalism and the Arab Islamic civilization"Scientific contributions and critical inquiries"

Abstract:

The article deals with two important aspects in the history of the Orientalist movement; the first aspect is the most important scientific contributions of the pioneers of the German Orientalist school in the course of Arab Islamic civilization, and this is in terms of fairness to Islam and Muslim scholars specialized in experimental and human sciences, as well as various efforts of German Orientalists in the investigation, publication and indexing of eyes Books on the Arab-Islamic heritage. As for the other side, it is embodied in the most important critical inquiries and comments on German Orientalist literature, which contained a set of opinions that contradict the historical truth. He aimed to achieve objectivity and develop a position of moderation in the evaluation of the German Orientalist scientific product.

Keywords: Orientalist ; German Orientalists ; Arab Islamic civilization ; Sigrid Hunke ; Carl Brockelmann.

الملخص:

يعالج المقال جانبين مهمين في تاريخ الحركة الاستشراقية؛ ويتمثل الجانب الأول في أهم الإسهامات العلمية لِرُوَّاد المدرسة الاستشراقية الألمانية في مسار الحضارة العربية الإسلامية، وهذا من ناحية إنصاف الإسلام والعلماء المسلمين المتخصصين في العلوم التجريبية والإنسانية، وكذا مختلف جهود المستشرقين الألمان في التحقيق، والنشر، والفهرسة لعيون كتب التراث العربي الإسلامي.أما

الجانب الآخر يتجسد في أهم الاستدراكات النقدية والتعقيبات على المؤلفات الاستشراقية الألمانية، هذه الأخيرة التي انطوت على جملة من الآراء التي تتنافى والحقيقة التاريخية.والمقال بهذا التناول يهدف إلى إحقاق الموضوعية،و بلورة موقف الوسطية في تقييم المنتوج العلمي الاستشراقي الألماني.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق؛ ألمانيا؛ هونكة؛ بروكلمان؛ الحضارة العربية.

مقدمة:

شهدت الحركة الاستشراقية بروز العديد من المدارس الاستشراقية، ومن أشهرها المدرسة الاستشراقية الألمانية، التي أسهمت بنصيب وافر من الدراسات والأبحاث العلمية، خصوصا تلك المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية، وهذا أمر يستوقف الباحث في العصر الوسيط ويجعله أمام إشكالية محورية تتمثل في التساؤل الآتي:ما هي مظاهر الإنصاف وتمثلات الإجحاف للحضارة العربية الإسلامية في منظور رواد المدرسة الاستشراقية الألمانية؟ ويتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسة جملة من الإشكالات الفرعية وهي:هل هناك استدراكات وتعقيبات نقدية على الإنتاج الاستشراقي الألماني؟ ما هي أبرز مواقف المفكرين العرب من الاستشراق الألماني؟

ومن أهم الفرضيات التي بمكن أن تلمع في ذهن الباحث هي:

-أن الاستشراق الألماني هو جزء لا يتجزأ من منظومة الاستشراق الغربي الأوربي وهذا على مستوى الخطاب والأهداف والدوافع .

-تتقاطع الاهتمامات البحثية للمستشرقين الألمان مع باقي المستشرقين الأوربيين.

-أثرت الحوادث السياسية التي شهدتها أوربا خلال الفترة الوسيطة والحديثة والمعاصرة على مسار التوجهات الاستشراقية الألمانية .

وسيناقش هذا البحث الاستشراق الألماني عبر توظيف المنهج التاريخي بمختلف آلياته التحليلية والنقدية،ونتج عنه خطة تشتمل على مدخل تمهيدي يتضمن ماهية الاستشراق لغة واصطلاحا ودوافعه،ثم استعراض مختلف الجوانب العلمية القيّمة للاستشراق الألماني عبر انتقاء نماذج رائدة، أولها زيغريد هونكة ودورها في إنصاف الحضارة

العربية الإسلامية، ثم المرور إلى المستشرقة آنا ماري شيمَّل وآراؤها حول تسامح الإسلام. ولا ننسى المستشرق برجشتراسير وأثره في إرساء جملة من القواعد المتعلقة بتحقيق المخطوطات،ولا ننسى فهرسة المخطوطات وتحقيقها والتي أسهم فيها بروكلمان وفلوجل، ونقدم في الأخير التعقيبات النقدية على الآراء التاريخية التي تضمنها كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان.

وبخصوص الدراسات السابقة للموضوع،فأغلبها يدور حول علاقة الاستشراق الألماني بالدراسات القرآنية،ويمكن بيان أهمها فيما يلي:

- مقال "الاستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية" للباحث محمد سعدون المطوري، ومقال آخر آثار مدرسة الاستشراق الألمانية في الدراسات القرآنية للباحث ناصر بن محمد المنيع.
- "الدراسات القرآنية في الاستشراق الألماني"وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه تقدمت بها الباحثة سحر جاسم للحصول لى دكتوراه في الفقه من جامعة الكوفة-العراق- سنة 2012 م .
- "آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية" للباحث أمجد يونس الجنابي، وهي عبارة عن دراسة تم طباعتها في مركز تفسير للدراسات القرآنية سنة 2015م .

وتتوخى هذه الدراسة إبراز فكرة الإنصاف في الاستشراق الألماني وشرحها وتنظيمها ، وبلورة موقف موضوعي يثمن الاستشراق المنصف باعتباره قيمة علمية مضافة في الحضارة الإنسانية، ويسلط الضوء على أهمية شهادة المرأة المستشرقة الألمانية المنصفة للحضارة العربية الإسلامية،كما يعرج على عدد من الآراء التاريخية الاستشراقية الألمانية التي جانبت الصواب،وهذا وفق منهجية مركزة .

ماهية الاستشراق:

لابد للباحث من معرفة ماهية الاستشراق من الناحية اللغوية والاصطلاحية لكي يتمكن من معرفة جوهر العلاقة بين الاستشراق الألماني والحضارة العربية الإسلامية.

أولا: لغة:

جاءت لفظة الاستشراق لغة من الفعل "شرق فالشين والراء والقاف أصل واحد يدل على إضاءة وفتح، ومن ذلك شرقت الشمس،

إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت، والشروق طلوعها" (ابن فارس،أ أ،د.ت: ج03، 264) أما الشرْق بسكون الراء؛ فهو "المكان الذي تشرق فيه الشمس، ونقول: قد شرَّقُوا: إذا ذهبوا إلى الشرق أو أتوا إلى الشرق."(ابن منظور،أج، 2005: ج65،08)، والملاحظ أن كلمة الاستشراق لم ترد في المعاجم العربية المختلفة، بل "ورد جذرها وهو شرق كما سلف، غير أن مفهومها اللغوي يتضح من خلال الاستناد لقواعد الصرف وعلم الاشتقاق؛ فالاستشراق مصدر للفعل استشرق، وهو طلب الشرق،كما يقال؛استفهم :إذا طلب الفهم،واستنصر إذا طلب النص، واسم الفاعل من استشرق: مُسْتَشْرِق وهو الذي يطلب الشرق." (العبيدي رشيد،2003: 10)

ثانيا: اصطلاحا:

يعتبر مصطلح الاستشراق وما يُشتق منه مِن المصطلحات الحديثة،التي كثرت حولها الآراء،ومن بين التعريفات الاصطلاحية التي يتم إيرادها في هذا الجانب أنه يقصد به"ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي،والتي شملت حضارته،وأديانه،وآدابه،ولغاته،وثقافته.ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي،مُعبّرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما."(علي إسماعيل،2013: 13)ومن التعريفات الشاملة تعريف عدنان وزّان حيث ينص على أن الاستشراق هو:"مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة."(وزان عدنان، 1984 : 15) أما الاستشراق في منظور الأديب المصري أحمد الزيات (1885-1968م) فيقصد به:"دراسة الغربيين لتاريخ الشرق،وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره،ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين،ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم،إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقا في غياهب من الجهل الكثيف، والبربرية الجموح."(الزيات أحمد،د.ت:ص512) ويحدد المفكر الجزائري مالك

بن نبي المقصود بالمستشرقين اصطلاحا بأنهم فئة من "الكُتَّاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية. ثم نصَّ على ضرورة تصنيفهم إلى صنفين؛ أولهما بحسب الزمن وهم طبقة القدماء مثل جربرت دورلياك والقديس توما الإكويني وطبقة المحدَثين مثل جولد تسيهر، والصنف الآخر بحسب الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين؛ فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية، وطبقة المنتقدين لها المُشوهين لِسُمْعَتِها." (ابن نبي مالك،1969: 05)

وينفرد مصطلح الاستشراق حسب إدوارد سعيد في جوهره الفكري فهو عبارة عن"مذهب سياسي فُرِض فرضا على الشرق،ويمثل أسلوبا للخطاب أي للتفكير والكلام،تدعمه مؤسسات وأفراد وبحوث علمية ومذاهب فكرية وأساليب استعمارية.أما المستشرق فهو كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق،سواء كان ذلك في مجال الأنثربولوجيا أي علم الإنسان،أو علم الاجتماع، أو التاريخ،أو فقه اللغة."(سعيد إدوارد، 2006: ص 44).

ونلاحظ مما سبق بيانه من تعريفات أن الباحثين المعاصرين أسهبوا في إيراد دلالات مصطلح الاستشراق،وقد انضوت تحت هذه التعاريف عدة قواسم مشتركة أهمها المجال الجغرافي محل الدراسة ألا وهو الشرق، وفحوى الاختصاص العلمي المتعلق بحضارة الشرق بصفة عامة والحضارة العربية الإسلامية على وجه الخصوص.

نشأة الاستشراق :

إن جذور الاستشراق الألماني وإرهاصاته الأولى ضاربة في أعماق التاريخ .

لا يُعرف بالضبط مَن هو أول غربي اعتنى بالدراسات الاستشراقية، ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبَّان ازدهارها ومجدها، وتثقَّفُوا في مدارسها،وترجموا القرآن الكريم والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على يد علماء المسلمين في مختلف العلوم والفنون، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات.(السباعي مصطفى،2013: 15 - 16)،

وبناء على ما سبق تعود أولى إرهاصات بداية الدراسات **الاستشراقية الألمانية** حسب المستشرق الألماني رودي بارت مع أول محاولة لتعريف الغرب بمحتوى القرآن الكريم والتي كانت في الفترة ما بين 1096 م-1270م، حيث ترجمت معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من بطرس المبجل رئيس دير كلوني في عام 1143م.(بارت رودي،2011: 14) وقام بهذه الترجمة عدد من الرهبان، أولهم الراهب الألماني هرمان الدلماطي من أصحاب صومعة دالماطيا، واشترك معه الراهب روبرت أوف تشتر الذي كان انجليزي الأصل،وبقيت هذه الترجمة الخطية محفوظة في صومعة الراهب بطرس الناسك طيلة أربعة قرون،حتى ظهرت المطابع فتم طبعاتها في مدينة بازل في عام 1553م، وهناك من يرى أن بعض الرهبان من ألمانيا و إيطاليا أحرقوها خائفين من تأثير القرآن في عقول الناشئة من الرهبان. (الندوي عبد الله عباس، 1996 :33- 39) وهناك من يرى بأن عام 1312 هو "التاريخ الرسمي للاستشراق،حيث قرر المجلس الكنسي في فيينا الموافقة على تأسيس كراس جامعية لدراسة اللغات الشرقية،ومن أهمها اللغة العربية،في جامعات أكسفورد وباريس، وبولونيا وغيرها من الجامعات الأوربية"(شايب لخضر،2002: 32).ولكن تيار التاريخانية الألمانية الذي يعتبر أبرز ملامح الاستشراق الألماني برز وازدهر في القرنين الثامن عشر و أواسط القرن التاسع عشر(السيد رضوان ، 2016: 16-17)

ونستشف من خلال نشأة الاستشراق الألماني عمق التأثير الحضاري للحواضر العلمية في بلاد الشام والأندلس التي كانت مركز إشعاع علمي ومحط رحال عدد من البعثات العلمية الألمانية،وتزودت بجملة من المعارف والعلوم العقلية والتجريبية ومنها فلسفة ابن رشد،والفارابي،وكتب المجريطي.ومن أهم الاستنتاجات أن الاستشراق الألماني انبثق من رحم الأديرة والكنائس على يد سلك الرهبنة.

دوافع الاستشراق الألماني:

تباينت وجهات نظر المفكرين العرب من الدوافع التي أدت إلى ظهور الاستشراق الألماني،فما هي أهم وجهات النظر ؟ وماهي حججها؟وما هي أبرز الدوافع التي تم إيرادها في سياق ظهور الاستشراق الألماني؟

أولا: مواقف المفكرين العرب من دوافع الاستشراق:

لقد كان للاستشراق الألماني دوافع شتى، وأهداف عديدة، وخاصة ما يتعلق منها بالدراسات الإسلامية، ولقد تباينت وجهات نظر المفكرين حول دوافع الاستشراق الألماني، فما هي أهم هذه الوجهات؟ وما هي أبرز الشخصيات التي تبنتها ؟

تجدر الإشارة إلى أن هناك ثلاثة مواقف في هذا الشأن،أولهما **الموقف المتوجس** من الاستشراق؛ لأنه في منظور هذا الرأي أن الاستشراق يخدم أجندات مخفية، تبرز في معاضدة الاحتلال والتنصير والسياسة،حتى عدّه بعضهم على أنه أحد **أجنحة المكر الثلاثة** وصاحب هذا الوصف عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، أو **أحد قوى الشر المتحالفة** مثله في هذا مثل التنصير والاحتلال ونلمس هذا التوجه عند الباحث محمد الدّهان. وفي حالة من الحالات يعتبر **سُمًّا من السموم** مثل ما نقرأه في كتاب **سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية** للمفكر المصري أنور الجندي، وهناك من قال عنهم تعميما إنهم جواسيس وعملاء للاحتلال وأعداء للإسلام. وحظي هذا المواقف الرافض المتوجس المشكك كما يشير نصير الكعبي بعدد كثير من رواد الفكر العربي الإسلامي،أولئك الذين تصاعدت عندهم:"نزعة معاداة التغريب والغزو الثقافي،فتحول نقد الاستشراق–في جزء منه–إلى نقد للتغريب والمتغربين في المجتمعات العربية."(علي جواد،2011: 65-69) ومن أبرز الواقفين موقف التوجس الرافض للاستشراق مِن رواد الفكر العربي أحمد فارس الشدياق 1804 م–1887م، ومحمد البهي 1905م-1982م، والأديب المصري محمود محمد شاكر 1909م–1997م، وأنور الجندي 1917م– 2002م، والداعية محمد الغزالي، وعبد الحميد غراب. (النملة علي إبراهيم، 2013: 26- 28)

وبمكن إفراد دراسة أو دراسات خاصة عن إسهامات المفكر **إدوارد سعيد** في موقفه الحاد من الاستشراق،الذي ركز فيه على "الاستشراق السياسي المعاون للامبريالية العالمية والمستخدم في المؤسسات السياسية والاستخبارية"، ولكن يجدر التنويه أن موقف إدوارد سعيد من الاستشراق الألماني"**لم يكن حادًّا**"على حد تعبير الباحث السعودي علي النملة.(النملة علي إبراهيم،2013: 28)،ومن الشواهد التاريخية التي تؤكد هذا الرأي أنه **في المؤتمر العالمي للدراسات الشرق أوسطية الذي** عقد في ألمانيا 2002/12/08 م وضم 18 بلدا أوربيا، قدّم إدوارد سعيد "ثناء استثنائيا للتراث التفسيري للبحث الفيلولوجي الألماني، كما أوضح أثره القوي في أعماله،وعدّه مصدرا هاما لكل من أراد الفهم والنقد في عالم العولمة." (المطوري محمد سعدون،2015: 191)

وأكد إدوارد سعيد على هذا المنحى في كتابه"**تعقيبات على الاستشراق**".(سعيد إدوارد،1996: 99)؛حيث أوضح أن الاستشراق الألماني"لا يتفق مع خطته في بحثه الأول– أي الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق- الذي ركَّز فيه على كتابات مَن كان لبلدانهم"ارتباط بمشروع امبريالي"(السيد رضوان، 77-78)،وقد غلب على تحليله أيضا الاستشراق الأمريكي الذي يمكن أن يعد "أقرب أنواع الاستشراق خدمة للسياسة ولصبغة الاستشراق الصحفي،حيث برز عدد من المستشرقين الأمريكيين على أنهم مُعَلِّقُونَ سياسيون،ويفتقر الاستشراق الصحفي غالبا إلى العمق في الفكرة والتحليل،ولكنه هو المطلوب إعلاميا مع سيطرة المعلومة القصيرة،والسريعة،والموجَّهة."(النملة علي إبراهيم،2013: 29)

وهناك مِن الباحثين مَن يُفرِط في الثناء على المستشرقين عند الحديث عن دوافعهم، ويرى أن الدافع العلمي النزيه كان وراء نشأة الاستشراق، وأن الرغبة في خدمة العلم كانت الحافز الأعظم للدراسات الاستشراقية، ويطلق على هذا أنصار هذا التوجه بأصحاب "**الموقف المنبهر**" بالاستشراق بالمنتج الاستشراقي.(النملة علي إبراهيم،2013: 30-31)، وتوسَّع هذا الاتجاه ليتصدى للدفاع عن

المستشرقين ومن بين أولئك الكاتب اللبناني **ميشال جحا** الذي أكد بأن الاستشراق الألماني"يتسم بغلبة الروح العلمية والموضوعية في تقصي الحقائق"، بل ووصل في ثناءه البالغ على نولدكه مبلغا مفرطا فقال:"وقد كان في **كل** أعماله مثال العالم العقلاني **المتجرد، فلا يتجنى** في أبحاثه عن الإسلام."(جحا ميشال، 1983 :187) ومِن أبرز من انتمى لهذا الموقف أيضا **نجيب العقيقي** .

ومابين الموقف الأول والثاني تقف فئة ثالثة موقفا وسطاً؛وهي الفئة التي اتبعت التفصيل والتحليل في النقد،وقبلت ما كان مقبولا،ورفضت ما كان مرفوضا،ووزنت كل هذا بميزان القسط والإنصاف،ويتفق في هذه الرؤية عدد من المضطلعين بالدراسات الاستشراقية ممن لا يرفضون أو يقبلون الاستشراق جملة وتفصيلا،ولكنهم مع النظرة الموضوعية النقدية التي تُعطي كل ذي حق حقه،كما هو مضمون رأي محمود حمدي زقزوق في تقديمه لكتاب الاستشراق الألماني تاريخه ووقائعه وتوجهاته المستقبلية ومن بين أولئك المفكرين الذين توجهوا ونحوا هذا المنحى **مصطفى السباعي، وثلاثة باحثين مختصين في الاستشراق الألماني وهم على التوالي: محمود حمدي زقزوق، ورضوان السيد، وعمر فروخ.** (النملة علي إبراهيم،2013: 33،32)

وفي الحق أن كُلاً من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال، وما تطرقوا إليه من أبحاث.وهذا ما تصبو إليه هذه الورقة البحثية، ولكن هذا لا يمنعنا من إيراد أبرز الدوافع العامة التي أدت إلى بروز وظهور الاستشراق، مع الأخذ في الاعتبار أن هناك مدراس استشراقية وكل واحدة منها لها خصائصها وسماتها (السباعي مصطفى، 2013: 14 - 15)

نستنتج من المواقف السابقة أن أقومها وأقربها إلى جادَّة الموضوعية هو موقف الوسطية، فلا إفراد ولا تفريط في الحكم على مؤلفات المستشرقين، وفي هذا الاتجاه تثمين للإنتاج العلمي الاستشراقي الألماني المنصف للحضارة العربية الإسلامية.

دوافع الاستشراق الألماني :

رشح من خلال البحث جملة من الدوافع الرئيسة للاستشراق الألماني، يمكن إيضاحها فيما يلي :

أولا الدافع الديني:

تطرق جمهور الباحثين المعاصرين المختصين في الاستشراق إلى الدافع الديني كأول دافع أدى إلى الاستشراق. فما هي أبرز ملامح هذا الدافع في الاستشراق الألماني؟

لا يحتاج الباحث إلى استنتاج وإجهاد في البحث،لكي يتعرف إلى الدّافع الأول للاستشراق عند الغربيين، ألا وهو الدافع الديني،فقد بدأ بالرهبان، واستمر كذلك وهؤلاء كان يهمهم في الأغلب الأعم أن يطعنوا في الإسلام، ويُشوهوا محاسنه، ويُحرّفوا حقائقه، ليثبتوا لجماهيرهم وأتباعهم التي تخضع لزعامتهم وسيطرتهم،أن الإسلام لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم هُمَّجٌ لصوص يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويُبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، وهذا لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث. (السباعي مصطفى،2013: 18 - 19).

وانطلاق المستشرقين الألمان من الكنائس والأديرة يؤكد الخليفة الدينية التنصيرية للاستشراق ويقول المستشرق الألماني يوهان فوك مؤكدا هذا الدافع:ولقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن الكريم واللغة العربية. (فوك يوهان،2001: 16–20)، ومن الشواهد التاريخية التي توضح هذا الرأي هو اشتراك أحد الرهبان الألمان في خدمة أغراض الكنيسة المسيحية و هذا في ترجمة القرآن الكريم، وهذا عندما أوفد بطرس الناسك رئيس صومعة الرهبان في كلوني عددا من الرهبان إلى الشام ليتلقوا العبرية واللغة العربية، ومنهم الراهب الألماني هرمان الدلماطي لمدة ثلاثة عشر سنة عاكفا على تلقي النحو والصرف، وعشرات سنوات أخرى في درس العربية ورجع إلى الأندلس مدرسا للعربية في مدرسة الآباء المسيحيين.(الندوي عبد الله عباس، 1996: 33-34)

محمد عيساوى
mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

ويتضح من خلال ما سبق أن ترجمة القرآن الكريم شكلت أولى اهتمامات الاستشراق الألماني، كما أن سلك الرهبنة كان أولى الفئات اهتماما بتراث الشرق الإسلامي.

ثانيا الدافع السياسي:

عرج الباحث المتخصص في الاستشراق الألماني إلى الدافع السياسي في الاستشراق الألماني وارتباطه بالعامل التجاري حيث ذكر بأن ألمانيا القيصرية وضعت نُصب عينيها "مشروعا توسعيا من ثلاث شُعب: مدى حيوي بأوربا، وبحث عن مستعمرات في إفريقيا، واستراتيجية صداقة وتحالف مع الدولة العثمانية في مواجهة الثالوث المتنافس والمحتكر لمصائر الرجل المريض انكلترا وفرنسا وروسيا، وقد زار الإمبراطور وليم الثاني أقطار السلطنة العثمانية مرتين 1899 م – 1911م، ونشأت بين الطرفين مشروعات عملاقة مثل سكة حديد الحجاز،وتبادل تجاري كبير (استيراد المنتجات الصناعية)وتدريب وتحديث القوات المسلحة العثمانية،وكان على الاستشراق أن يؤدي دورا بارزا في الاستكشاف،وفي تطوير العلاقة،وفي دراسة آراء السكان في مطامح ومطامع الفرنسيين والبريطانيين والروس."(السيد رضوان ،2016 : 35)

ووفقا لما سبق يتبين أن الدافع السياسي كان حاضرا في ظهور الاستشراق الألماني .

ثالثا : الدافع العلمي:

أقبلت ثلة من المستشرقين-ومن بينهم الألمان- على الاستشراق بدافع من حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون"الدسَّ والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين- مثل المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة-، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته -على غرار الألماني مراد ويلفريد هوفمان- ولكن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يُمَكِّنُهم مِن الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص؛لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى، لا تلقى رواجا، لا عند رجال الدين، ولا عند

رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، ومن ثمة فهي لا تُدِرُّ عليهم أرباحا، ولهذا ندر وجود هذه الفئة من المستشرقين." (السباعي مصطفى، 2013: 22 – 23).

ولقد عبر المستشرق الألماني رودي بارت عن هذا الدافع بقوله: "فنحن معشر المستشرقين عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والإسلامية لا نقوم بها فقط لكي نبرهن على ضعة العالم الإسلامي بل على العكس نحن نبرهن على تقديرنا الخالص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة."(بارت رودي،2011 :15) ويوضح في موضع آخر على نواياهم العلمية بقوله: "نؤكد بضمير مطمئن أننا في دراساتنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة، أما الرأي المضاد والذي نشره عالم الأزهر الأستاذ البهي في كتيبه المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، فنُحِيطُ به عِلمًا، ونحن هادئو البال."وقال في موضع آخر (بارت رودي،2011 : 16)

يمكن مما تجمع من مادة هذا المبحث الخروج بجملة من النتائج أهمها أن الاستشراق الألماني موغل في القدم،وأن صبغته العلمية غلبت على اهتماماته البحثية وصدق نواياهم في الدراسات الاستشراقية إلى درجة بعثت الاطمئنان في نفوس المستشرقين الألمان - ومنهم رودي بارت- من الانتقادات التي وجهها لهم أحد أساطين الفكر الإسلامي الأزهري ألا والأستاذ محمد البهي للاستشراق.

المدرسة الاستشراقية الألمانية أنموذج للاستشراق المنصف:

دأب كثير من الباحثين على القول بأن الاستشراق الألماني يعتبر مضرب الأمثال في مسألة الإنصاف والتجرد في البحث الاستشراقي، فما هي الخلفية التي أدت إلى هذا التوجه ؟ وهل هناك وجهات نظر مخالفة؟

يعتبر الاستشراق الألماني الأنموذج الذي يمكن من خلاله الحكم على الموقف العلمي للاستشراق، فهو يعدُّ بحق أقرب الاستشراقات إلى العلمية والنزاهة، ويرجع هذا لأسباب عديدة،من أهمها جدية الألمان وميلهم إلى الموضوعية والعمق وخدمة الأغراض

العلمية، دون الدخول في استخدام الاستشراق لخدمة أغراض دينية كالتنصير أو أغراض احتلالية. ومن الأسباب أن ألمانيا نفسها لم تمارس الاحتلال بالصورة نفسها التي مارستها بريطانيا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا، ربما لأنها لم تتح الفرصة للألمان لينضموا إلى منظومة الدول المستعمرة، فحيل بينهم وبين ما يشتهون من رغبات، فنزع المستشرقون الألمان إلى قدر عال من الموضوعية والدأب على خدمة التراث العربي الإسلامي،طارحين السطحية لغيرهم،فأدى ذلك بالباحث صلاح الدين المنجد أن يصف هذه الفئة بأنها"أوتيت الكثير من سعة العلم، والتمكن من العربية، والإخلاص للبحث، والتحرر والإنصاف، فكانت دراساتهم مثمرة وأعمالهم مباركة" (المنجد صلاح الدين،1955: ج01،د)

ومع هذا فإن المفكر الضليع بالاستشراق عموما، والاستشراق الألماني على وجه الخصوص، والمتخرج في ألمانيا الباحث رضوان السيد ينفي هذه النزاهة عن الاستشراق (فالألمان كانوا يملكون رغبات استعمارية شرهة ولكنها ما صارت فاعلة إلا بعد الوحدة الألمانية عام 1870م)،ويتهم رضوان السيد الاستشراق الألماني بتعضيد الاحتلال كما فعل مارتن هارتمان1851م-1919م،والذي"أصبح فيما بعد مدرسا بالمعهد الاستعماري بهامبورغ"حيث كتب كتابين يدعو فيهما لنصرة السياسة الفرنسية والمطامع الفرنسية،كما يُنقل ذلك عن المستشرق الهولندي سنوك هورغرونيه (السيد رضوان ، 2016 : 12-11)

ومع كل الاحترازات التي قدمها رضوان السيد يظل الاستشراق الألماني أقرب أصناف الاستشراق إلى النزاهة وخدمة للتراث العربي الإسلامي خدمة تستحق التقدير،وقد أحصى الباحث محمد عوني عبد الرؤوف رصيد الاستشراق الألماني من التحقيقات والدراسات التي أسهموا بها، فأوصلها إلى 494 تحقيقا ودراسة،وفي هذا جهد مضن في عمل فردي، وهو مُقَدَّرٌ،إلا أنه لا يحصر تلك الإسهامات التي جاء بها المستشرقون الألمان،ولا ينتظر منه أن يقترب منها. (عبد الرؤوف محمد عوني، 2004 : 345-387)

كما سعى الباحث علي إبراهيم النملة في دراسة مزدوجة سريعة إلى رصد ما قام به المستشرقون لخدمة التراث العربي الإسلامي، من حيث التحقيق والدراسة والترجمة، مع دراسة موازية أخرى تحصي ما قام به العلماء المسلمون من دراسة وتحقيق للتراث العربي،وانتهى إلى استحالة القيام بهذا العمل، رغم التقدم الهائل في تقنية نقل المعلومات. (النملة،2013: 42)

ونستنتج مما سبق أن المفكرين العرب بينوا اختلاف وُجهات المستشرقين الألمان فهناك صنفٌ مبتغ للعلم، وهناك من راكب لمطية البحث لحاجة في نفسه يريد قضاءها،كما يوجد فريق منصف باحث ناطق بفضل مساهمة العرب في بناء الحضارة الإنسانية،أما التيار الغالب فهو من نحا منحى الموضوعية والتجرد العلمي.

رواد الاستشراق الألماني وإنصاف الحضارة العربية الإسلامية:

اجتهدت كوكبة من المستشرقين الألمان في إخراج صورة منصفة موضوعية متعددة المشاهد والأبعاد للحضارة العربية الإسلامية، فما هي أهمية إيراد الشهادات الاستشراقية المنصفة؟ وما أبرز المستشرقين الألمان المساهمين في هذا المجال الحيوي ؟

أولا : أهمية إيراد الشهادات الاستشراقية المنصفة :

يتبادر إلى ذهن القارئ سؤال يتعلق بمدى أهمية إيراد الشهادة الاستشراقية المنصفة في الدراسات التاريخية،فهل لهذا السؤال من جواب علمي منطقي مقنع؟

يقول الباحث عماد الدين خليل في هذا صدد بيان أهمية الشهادة الاستشراقية المنصفة:"على مدار ردح من الزمن،ونحن نكيل التهم، ونوجه الانتقادات السلبية على المستشرقين،هذا حق بشكل من الأشكال،إنه رد الفعل المناسب لركام من الأباطيل والأضاليل المرسومة بعناية،ولكن ماذا لو أضفنا إلى هذا جهدا آخر يسعى لمتابعة والتقاط واستخراج شهادات التقويم الايجابية بحق هذا الجانب، أو ذاك من جوانب الإسلام،حيث تعتبر هذه الشهادات بمثابة اعتراف حر مدعم بالشواهد والحجج، ولا يتضمن أي قدر من القسر والإكراه، بالقيمة المتألقة أو الفذَة لهذا الدين." (خليل عماد الدين، 2009: 157 – 158).

نستنتج من المقولة السابقة أن الشهادات الاستشراقية المنصفة تكتسي أهمية بالغة في الدراسات التاريخية والحضارية فهي خير معين، وأحسن وسيلة لإقناع الرأي الآخر والمخالف،لأن فيها إقرارا من بني جلدتهم و بلسانهم ،وبالتالي نختصر الجهد والوقت في بيان أثر الحضارة العربية الإسلامية وقيمتها المتألقة في الحضارة الإنسانية.

ثانيا:المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة وإنصافها للحضارة العربية:

أسهمت زيغريد هونكة في بيان أثر الحضارة العربية في أوربا من خلال مؤلفاتها ومن بينها كتاب الله ليس كذلك،شمس الله تسطع على الغرب.ولقد تم إطلاق لقب"**مؤمنة آل فرعون**"على هذه المستشرقة؛ ويدل هذا العنوان أن المؤلفة واجهت الباطل بكتاباتها لبيان الحقيقة التاريخية والعلمية كما واجه مؤمن آل فرعون قومه؛ حيث أن قصة هذا الأخير تتكرر، ولعل أبرز مثال على ذلك دفاع كل زيغريد هونكة وآنا ماري شمل عن العرب والإسلام،في وقت دأبت وسائل الإعلام الغربي على حملات التشويه والانتقاص.

ولكن تصدت زيغريد هونكة لهذه الحملة بكتابات مستندة إلى منهج بحثي محكم، مُدَعَّمٍ بشواهد علمية، ونَشَرَت بعد حياتها الحافلة أكثر من عشرة كتب تناولت موضوعات متنوعة لها صلة وطيدة بالأدب والفلسفة والتاريخ والاجتماع وعلم الأديان المقارن،وكتابها **الله ليس كما تُرَوِّجُونَ** كشفت من خلاله المؤلفة بأسلوب علمي يعتمد على الحجج والبراهين عن ألف حُكم وحُكم مُسْبَق عن العرب،لأن "الأحكام والآراء المسبقة تعيق،بل وتجعل التفاهم بين الشعوب مستحيلا،وتُعَمق البغض والكراهية.ولقد شرعت في إثبات تهافت تلك الدعاوى والأحكام ومن بينها اضطهاد المرأة في الإسلام،وأن الإسلام انتشر بالنار وبالسيف." (هونكة زيغريد،2009: 15 - 71)

وترى زيغريد هونكة في موضع آخر من كتابها القيم **شمس العرب تسطع على الغرب،** بأن "العرب قد طَوَّرُوا بِتجاربهم وأبحاثهم العملية ما أخذوه مِن مادَّة خام عن الإغريق، وشكَّلُوه تشكيلا جديدا،فالعرب في الواقع هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة...وبالتالي فإن العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية

من الزوال ونظَّمُوهَا،ورَتَّبُوهَا،ثم أهدوها إلى الغرب فحسب؛بل هم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء، والطبيعة، والحساب والجبر، والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع، بالإضافة إلى عدد لا يحصى مِن الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف فروع العلم،والتي سُرق أغلبها،ونُسِب لآخرين،فالعرب قدّموا أثمن هدية،ألا وهي منهج البحث العلمي الصحيح الذي مهّد أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم. " (هونكة زيغريد،2002: 401 - 402) وتضيف هونكة:"والواقع أن روجر بيكون، أو باكون فارولام،أو ليوناردو دافنشي،أو جاليلو،ليسوا هم الذين أسسوا البحث العلمي؛إنما السابقون في هذا المضمار كانوا من العرب، والذي حققه ابن الهيثم-الخازن كما هو معروف عند الأوربيين- لم يكن إلا علم الطبيعة الحديث بفضل التأمل النظري، والتجربة الدقيقة" (هونكة زيغريد، 2002: 148- 149)

وكذلك ترى أن"الحسن بن الهيثم أحد أكثر معلمي العرب في بلاد الغرب، أثرا وتأثيرا... لقد كان تأثير هذا العربي النابغة على بلاد الغرب عظيم الشأن،فسيطرت نظرياته في علمي الفيزياء والبصريات على العلوم الأوربية حتى أيامنا هذه،فعلى أساس كتاب المناظر لابن الهيثم نشأ كل ما يتعلق بالبصريات ابتداء من الانجليزي روجر بيكون حتى الألماني فيتلوا،وأما الايطالي ليوناردو دافنشي مخترع آلة التصوير الثقب أو الآلة المعتمة،ومخترع المضخة و أول طائرة ادعاء فقد كان متأثرا تأثيرا مباشرا بالعرب. " (هونكة زيغريد،2002: 150)

ولم يقتصر بيان أثر الحضارة العربية الإسلامية في منظور المستشرقة الألمانية هونكة على العلوم التجريبية وعلوم الطبيعة والحياة،بل امتد إلى توضيح إسهامات الفكر العربي في سلم رقي الحضارة الإنسانية والأوربية حيث تقول بأن "سيلا عرما من نتاج الفكر العربي،ومواد الحقيقة والعلم قد نقَّحته أيدٍ عربية،ونظمته وعرضته بشكل مثالي قد اكتسح أوربا...وفي المراكز الأوربية لم يكن هناك عالم واحد من العلماء إلا ومدَّ يديه للكنوز العربية...ليغرف منها ما شاء الله له أن يغرف،وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء

العذب،ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوربا آنذاك،إلا وقد ارتوت صفحاته بالرّي العميم من الينابيع العربية، وأخذ عنها إيماءاته، وظهر فيها تأثيرها واضحا كل الوضوح، ليس فقط في كلماته العربية المترجمة،بل وفي محتواه وأفكاره." (هونكة زيغريد،2002: 305 - 306)

وبناء على ما سبق نستنتج أن المستشرقة زيغريد هونكة انتدبت نفسها لتأسيس الخطاب الاستشراقي المنصف الرزين بغية مقارعة أفكار الاستشراق المجحف والتعقيب على آرائه التي تتسم بالتحامل والتقزيم لإسهامات الحضارة العربية الإسلامية في بناء صرح الحضارة الإنسانية جمعاء، ومحاولة تنقيح المخيال الغربي المشحون بجملة من رواسب التصورات الخاطئة التي ساهمت فيها مخلفات الحروب الصليبية، والأساطير التي تفشّت في أوربا خلال العصور الوسطى.

ثالثا : عميدة الاستشراق الألماني آن ماري شيمَّل:

تُعد آنا ماري شيمّل عميدة المستشرقات الألمانيات،إذ كانت نموذجًا للأستاذة المتخصصة في الآداب واللغات الشرقية بحق، وهي من الخبراء القدماء الأوائل في الدراسات الصوفية الإسلامية، كما كانت ذات خبرة واسعة في الفن الإسلامي وفن الخط العربي، وكانت دراساتها في مجالات المعارف العربية والإسلامية عميقة دائما،تتناول جميع النقاط في إسهاب وموضوعية وجِدّية، وتتضح خبرتها وقدرتها على فهم الشعر الفارسي والعربي، وتربو كتبها عن مائة كتاب.وفي عام 1958 م قامت بزيارتها الأولى إلى الباكستان، فقوبلت بحفاوة كبيرة،وحصلت هناك على وسام الهلال والتميز،وأطلق اسمها على شارع جميل بوسط مدينة لاهور، وخُصّصَت جائزة لإبداع المرأة باسمها عام 1988م . ومما يذكر لها و يرفع من قدرها في أرجاء العالم الإسلامي هجومها على سلمان رشدي الذي أساء للقرآن الكريم، وكتبت أنه لم يكن من المفروض أن ينشر كتابه،لأنه يؤذي مشاعر المسلمين، وتساءلت"هل يُمكن أن يفعل ذلك ببعض آيات الإنجيل؟وهل كان العالم الغربي ليسمح بذلك؟" (عبد الرؤوف محمد عوني،2004: 267-271)

ولقد واصلت آنا ماري مسارها في بيان حقيقة الإسلام وتسامحه، ولقيت دراساتها حسب الدكتور رضوان السيد"اهتماما رغم أفقيتها وأسلوبها الخاص،لأنها ما عملت بألمانيا طويلا بل في الولايات المتحدة الأمريكية،ونشرت أكثر دراساتها بالإنكليزية، ثم هناك سبب آخر لشهرتها هو حُبُّها للمسلمين، واعتقادها أن الصوفية هي الحل المثالي لمستقبل الإسلام، مما أكسبها شعبية كبرى بين مسلمي شبه القارة الهندية، والذين يقرؤون الانكليزية بالذات"(السيد رضوان، 2007: 47- 48) وقالت شيمَّل في مقدمتها لكتاب الإسلام كبديل للدكتور مراد هوفمان سفير ألمانيا في المغرب "الإسلام مَثَلٌ نَمَطِيٌّ لتلك التأويلات الظالمة المشوهة، إن الكثير مِنَ الأحكام الظالمة التي نُلْصِقُها بالإسلام ناشئة عن سوء فهمنا، وخطئنا في القياس المنطلق من معاييرنا الغربية ومُثُلنا وقيمنا، إن من المحزن اليوم حقًّا ألا يميز كثيرون في الغرب بين الإسلام، وبين ما يُلصق زورا وبهتانا بالإسلام، أو يُقترف مِن جرائم باسم الإسلام، فالإسلام بريء مِن الإرهاب والإرهابيين."(هوفمان مراد،1997: 09-18)، والمستشرق الألماني مراد هوفمان في كتابه يوميات ألماني مسلم،لا يخاف كثيرا من هذه الأحكام الظالمة،لأن "مناعة الإسلام منغرسة فيه،وانتشاره بشكل عفوي أمر طبيعي،هذا الانتشار العفوي سمة من سماته على مر التاريخ على العكس من الشرائع الأخرى التي طُبعت بالعنف والوحشية، وانتشار الإسلام بشكل عفوي أو طبيعي؛لأنه دين الفطرة المنزل على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم." (هوفمان مراد، 1993: 79)

جهود المستشرق الألماني برجشتراسير في تأسيس قواعد تحقيق المخطوط:

سعى المستشرقون الألمان إلى تحقيق المخطوطات العربية، ووظَّفوا جهودهم لبعث التراث الإسلامي، وأثمرت عن قواعد وقوانين في التحقيق خاصة بهم تميزهم عن غيرهم، واستفاد منها بعض الباحثين العرب المسلمين في هذا المجال المهم،وهذه القواعد في التحقيق تتسم بالدقة، وتضمن الأمانة في إخراج النص،وتضمن أن يأتي النص المنشور كما وضع في أصله،وقد طبقت هذه القواعد في

نشر النصوص العربية جمعية المستشرقين الألمان في نشرياتها الإسلامية،وكان على ناشري النصوص من العرب إتباع الطريقة العلمية التي يتبعها المستشرقون. والاطلاع على قواعدهم واقتباسها أو اقتباس الجيد منها، ولكن الذين فعلوا ذلك قلة (المنجد صلاح الدين، 1987: 07 -08) أما جهود الألمان في نشر التراث الإسلامي فيُعَبِّر عنها المحقق صلاح الدين المنجد في موضع آخر بأن مجموع ما نشره الألمان وحدهم يفوق ما نشره المستشرقون الفرنسيون والإنجليز معا(المنجد صلاح الدين،1987: 08)

وفي هذا السياق نستشهد أيضا بتلك المحاضرات القيمة التي ألقاها المستشرق الألماني برجشتراسير(**Gotthelf Bergsträsser**) على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية،في كلية الآداب بجامعة القاهرة بمصر عام 1932 م ، ويعد أول من ألف في هذا الفن ، وكانت محاضراته عن أصول نقد النصوص ونشر الكتب، والتي لم تر النور إلا في وقت متأخر. حيث أعدها للنشر محمد حمدي البكري وصدرت عام 1969 م والكتاب بحق رغم قدم تأليفه لا يستغني عنه باحث في التراث الإسلامي ممن يتخصص في التحقيق.(برجشتراسير جوتهالف، 1982: 12-13)

ويعتبر كتابه من أروع ما كُتب بالعربية في فن تحقيق النصوص، على الرغم من إتباعه طريقة باحثي الآداب الكلاسيكية، التي استطاع أن يطبقها بأمانة على الآداب العربية، معتمدا في منهجه على الكتب العربية التي يربو عددها على خمسين ومائة كتاب، مما يؤكد دقته، وحرصه وعنايته وإخلاصه، وأصالته وصبره على السواء.كما أن سمايلوفتش قد قام بعملية مقارنة بين عمل المستشرق وما قام المحققان عبد السلام هارون وصلاح الدين المنجد ،وخلص إلى أن المستشرق برجستراسير قد عالج مشكلة تحقيق النصوص ومنهج دراستها وطريقة نشرها بتوسع أكثر،وأنه كان أعمق سبرًا، وأطول باعا منهما.(سمايلوفتش أحمد،1998: 557 -561)،ويرى الباحث في المحاضرات أنها اشتملت على تعليقات وقواعد تعالج النسخ المختلفة للعمل الواحد،وأشارت إلى ما يعترض المحقق عند انتقاء أصحها من مشاكل وصعوبات، مستخدما نماذج وأمثلة عديدة

توضح كيفية اختيار النسخ، وعالج في القسم الثاني منها مشاكل تهذيب النصوص ونقدها، مركزا على خصائص تحقيق الصحة اللغوية والموضوعية باستعراض نماذج من أعمال التحقيق (الجنابي أمجد، 2015: 347).

فهرسة الكتب والمخطوطات:

بلغ عدد المكتبات الملحقة بالبلديات في ألمانيا بحدود سبعة آلاف مكتبة، وأحد عشر ألفا ملحقة بالكنائس، وفي بعض المكتبات اهتم الاستشراق الألماني بفهرسة وتصنيف المخطوطات والمصادر الإسلامية بشكل عام، وقاموا بإعداد قوائم وفهارس عامة للمراجع والكتب الإسلامية كما هو موجود في معظم مكتبات المراكز الاستشراقية العامة والخاصة.(الجنابي أمجد،2015: 360)، ومن أهم هذه المكتبات مكتبة برلين الوطنية، ومكتبات خارج برلين من أهمها مكتبة درسدن الوطنية، ومجلس الشيوخ الأمريكي، والمكتبة الملكية الرسمية في ميونيخ، ومكتبة جوتنجين، ومكتبة مدينة برسلاو، وهامبورغ الوطنية (الجنابي أمجد،2015: 363) ومن أهم المؤلفات الألمانية التي جسدت إسهامات المستشرقين الألمان في مجال فهرسة الكتب والمخطوطات الإسلامية،وقد صدرت عدة مؤلفات استشراقية قيمة متعلقة بفهرسة المخطوطات العربية نذكر منها أنموذجين مهمين في البحث :

أولا : كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان:

صدر الجزء الأول من الأجزاء الستة بالألمانية عام 1943م، ثم تبعته سائر الأجزاء في أعوام لاحقة،أما الطبعة العربية فقد صدرت عام 1968 م، وتلتها طبعة عام 1983م، فكانت الأجزاء الثلاثة الأولى. وكلمة أدب في عنوان الكتاب تعني مجموع ما كُتب باللغة العربية في كل فروع العلم، وقال عن قيمته المفكر الفيلسوف عبد الرحمان:"من ذا الذي يمكن أن يستغني عن تاريخ الأدب العربي بأجزائه الخمسة،تصنيف كارل بروكلمان؟! إنه لا يزال حتى الآن المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وُجودها."(بدوي،2015: 98)، أما الدكتور رضوان السيد فيرى أن تأثير بروكلمان عند العرب وعليهم جاء من عمله العظيم

المتمثل في تاريخ الأدب العربي، وهو في حقيقة الأمر تاريخ للكتابة العربية عبر العصور وشتى الفنون،المؤلفين والمؤلفات، ومن القرن الثالث وحتى القرن الثالث عشر، بل وأوائل القرن الرابع عشر الهجري(19م) واستغرق بروكلمان أربعين عاما في إنجازه(السيد رضوان،2007 : 64).

ثانيا: جهود المستشرق جوستاف فلوجل في الفهرسة :

تعتبر الفهرسة من أهم الإجراءات المهمة للاستفادة من الكتب والمؤلفات،ولهذا يقال في هذا المضمار الكتب بلا فهارس كنوز بلا مفاتيح، ومن أبرز الذين ساهموا في مجال الفهرسة المستشرق فلوجل، فما هي أبرز جهوده وإنتاجه العلمي في هذا المجال؟

ألف المستشرق جوستاف فلوجل مجموعة من المؤلفات والتي تتعلق بالفهارس،منها فهرس لألفاظ القرآن الكريم وهو كتابه نجوم الفرقان في أطراف القرآن، وقد صدر بالألمانية عام 1898م، وقد كتب العنوان بالعربية في أعلى الصفحة الرئيسة،ولأهمية العمل الذي قام به قال عنه الفيلسوف المفكر الناقد عبد الرحمان بدوي أنه كل ما عمل بعد ذلك في البلاد العربية والإسلامية عيال عليه، ومع ذلك لم يصل إلى درجة من الدقة والاستيعاب، وعلى الرغم من فؤاد عبد الباقي في كتابه المعجم المفهرس للقرآن الكريم قد اعتمد عليه اعتمادا تاما، فإن فهرس فلوجل توجد فيه كلمات و مواد لا ترد في فهرس عبد الباقي هذا رغم ادعاءات عبد الباقي. وقد أسدى فلوجل بهذا الفهرس للقرآن خدمة جلى للجميع من الباحثين وعامة الناس، كما كتب فلوجل فهرسا للمخطوطات العربية والفارسية، والتركية، والسريانية، والحبشية الموجودة في مكتبة القصر والدولة في ميونيخ، وله أيضا حياة السيوطي ومؤلفاته، وله تحقيق كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وهو عمل تفرد به وتعب في تحقيقه وترجمته إلى اللاتينية، ويعد هذا الكتاب من أكثر الكتب فائدة للباحثين في فروع العلم الإسلامية (بدوي، 2015: 412)، بالإضافة إلى قيامه بفهرسة مخطوطات المكتبة الوطنية النمساوية بفيينا(عايش محمد،2008: 09)

الدراسات الألمانية المجحفة في حق الحضارة العربية الإسلامية :

لم تكن الأبحاث والآراء الاستشراقية الألمانية على قدم سواء فيما يتعلق بالانصاف والموضوعية إزاء الحضارة العربية الإسلامية،بل بدت العديد من التوجهات المجافية للحقيقة ونقصد هنا محاولتين للمستشرقين تيودور نولدكه، وكارل بروكلمان.

أولا:المستشرق نولدكه ومحاولته إعادة ترتيب سور القرآن الكريم :

من بين المسائل المهمة التي توجه إليها بعض المستشرقين إلى دراستها في القرآن الكريم، كان معالجة عنصر الزمن من خلال التسلسل الزمني للسور القرآنية، ولأن المستشرقين يفضلون التعامل مع القرآن على أساس أنه كتاب تاريخي ليس إلا، حاولوا جاهدين إعادة ترتيب سوره بحسب زمن نزولها، معتقدين بذلك أنهم يُقدمون خدمة جليلة للمعرفة التاريخية، فكانت المحاولة الأهم في تأريخ الاستشراق تلك التي قام بها المستشرق الألماني تيودور نولدكه من خلال كتابه تاريخ القرآن، وكان في أصله رسالة دكتوراه باللغة اللاتينية بعنوان حول نشوء وتركيب السور القرآنية، عام 1860، ولقد أفصح تيودور نولدكه بوضوح عن المنهج الذي اعتمد عليه في الوصول إلى تسلسل زمني لسور القرآن، فالمضمون وطبيعة الترتيب، في داخ النص القرآني من خلال الأسلوب والفكرة، (الغزالي مشتاق،2008: 65)، ولكن ما هي النتائج التي آلت إليها هذه الدراسة الاستشراقية،هل نجحت فعلا في إعادة ترتيب النص القرآني؟ والجواب عن هذه الأسئلة تتجسد في أن جميع المحاولات والدراسات الاستشراقية - وعلى رأسها محاولة نولدكه- في إعادة ترتيب النص القرآني كانت فاشلة، لأنها لم تستطع أن تصل إلى ترتيب زمني مضبوط،ودقيق،لأن عملية إعادة ترتيب الآيات والسور وفق المعيار الزمني يضعنا أمام مشكلة كبيرة، وهي تفتيت النص القرآني وتشتيت وحدته وانسجامه، وبالتالي يظهر النص القرآني نصًّا خاليا من الإعجاز غير مترابط الأفكار، وقبل وفاة المستشرق نولدكه بوقت قصير،سئل المستشرق الألماني نولدكه وقد شارف على التسعين من عمره،إن كان يشعر بالنم لأنه لم يعكف على دراسة علم يعود بالفائدة العلمية على الجنس البشري، كدراسة الطب أو الزراعة،أو أي فرع غير الدين واللغات والفلسفة، فأجاب نولدكة:إن كان من ندم فلأنني

درست علوما لم أظفر منها في النهاية بنتائج حاسمة (الغزالي مشتاق،2008: 90 – 91). ومن أجود الدراسات النقدية التي بينت تهافت آراء المستشرق الألماني نولدكه في مسألة إعادة ترتيب نزول القرآن وأثبتت إجحافه بحق البحث في العلوم الإسلامية هي دراسة ترجمة نقد كتاب تاريخ القرآن التي قام بها رضا الدقيقي التي تتكون من ثلاث مجلدات، وقام خلالها بترجمة النص الأصلي لكتاب نولدكه مع التعقيب والنقد.(الدقيقي رضا،2011: ج01، 61- 64)

ثانيا : تاريخ الشعوب الإسلام للمستشرق كارل بروكلمان

صدر كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية للمستشرق كارل بروكلمان عام 1939 بطبعته الألمانية، ثم صدر بترجمته العربية عام 1948 م، وهو للمستشرق كارل بروكلمان ويقع في 900 صفحة من القطع الكبير متضمنا خمسة أقسام كبيرة حملت العناوين التالية: العرب والإمبراطورية العربية، الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، الإسلام في القرن التاسع عشر،الدول الإسلامية في بعد الحرب العالمية الأولى, وسعى كارل بروكلمان من خلال بعض آراءه إلى تقديم صورة غير حقيقية عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو ينفي صفة الرسالة عنه ويزعم أنها إحساس وليس بوحي لقد كتب كارل بروكلمان التاريخ الإسلامي من منطلق التشكيك، والرفض العشوائي،ومعتمدا على الروايات الضعيفة الشاذة، والتي رفضها النقاد الباحثون، واستغربها العلماء المطلعون، بل وأشاروا إلى نشوزها، لكن بروكلمان **أوردها واستدل بها :وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في** رحلاته ببعض اليهود والنصارى،أما في مكة نفسها، فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد، ومع الأيام أخذ الإيمان يعمر قلبه، ويملك عليه نفسه، فيتجلى له فراغ الآلهة الأخرى، ولكنه على ما يظهر، اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله، ولقد أشار إليهن في الآيات الموحاة إليه بقوله: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن ترتضى " (أبو خليل شوقي، 1987: 34)

وتعتبر المقولة السابقة أبرز النماذج التطبيقية التي تجسد دعوى رد معطيات السيرة النبوية إلى الأصول النصرانية التي تولى كبرها كارل بروكلمان رواية حديث بحيرى الراهب التي أشار إليها في مقولته السابقة في السيرة النبوية وهو حديث منكر جِدًّا، ومن أبرز الدلائل على نقضها تلك الاستدراكات والتعقيبات النقدية التي أوردها مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي حيث قدم عدة تساؤلات جوهرية من شأنها إسقاط الاحتجاج بهذه الرواية حيث تساءل فقال وأين كان أبو بكر؟ كان ابن عشر سنين، فإنه أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ونصف؛ وأين كان بلال في هذا الوقت؟ فإن أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث، ولم يكن وُلِد بعد؛ وأيضا، فإذا كان عليه غمامة تُظِلُّه، كيف يُتصوَّر أن يميل فيء الشجرة؟ لأن ظِلَّ الغمامة يَعْدِم فَيءَ الشَّجَرَةِ التي نَزل تحتها، ولم نَرَ النبي_صلى الله عليه وسلم_ذَكَّرَ أبا طالب قط بقول الراهب، ولا تَذَاكَرَتْهُ قريش، ولا حَكَتْهُ أولئك الأشياخ، مع تَوَفُّر هِمَمِهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك، فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار، ولَبَقِيَ عنده صلى الله عليه وسلم حِسٌّ من النُّبُوَّة، ولما أَنْكَر مجيء الوحي إليه، أولا بغار حِرَاء وأتى خديجة خائفا على عقله، ولَمَا ذَهب إلى شواهق الجبال ليرمي نفسه_صلى الله عليه وسلم_ وأيضا فلو أثَّر هذا الخوف في أبي طالب ورَدَّهُ، كيف كانت تطيب نفسه أن يُمَكِّنه مِن السفر إلى الشام تاجرا لخديجة؟ وفي الحديث ألفاظ منكرة.(الذهبي،2003 :ج 01، 502). وأضاف المحقق ويعتبر هذا نموذج تطبيقي نقدي مشهور؛ استند فيه الحافظ المؤرخ الذهبي إلى معايير تاريخية وعقلية، وحَلَّلَ الخبر تحليلاً علمياً من جميع جوانبه في أحداثه وألفاظه ودلالاته، واستخدم عقله والأدلة التاريخية لِيُثْبِتَ بطلانه. وهي خطوات تُنبئ عن تمكُّن الذهبي العلمي ورسوخ قدمه في ميدان نقد متون الروايات التاريخية.(معروف،1986: 107)،وليس هذا فحسب ،بل هناك عشرات النماذج التي تبين منهج بروكلمان في معالجة التاريخ الإسلامي بطريقة مجحفة وغير منصفة في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية؛ لأنه قد بناؤه على التشكيك والرفض العشوائي، معتمدا على الروايات الضعيفة والتي رفضها العلماء النقاد المحققون، ثم جاء إلى وقائع التاريخ العربي الإسلامي الوسيط،

يُطوّعها لما يؤيد فكرته، وخطته المرسومة، يطمس ويضعف، ولعل أبرزت هذه الهفوات ما قدمه المحقق شوقي أبو خليل في كتابه كارل بروكلمان في الميزان، وهذا في جميع الفترات التاريخية بدءا بفترة السيرة النبوية مرورا بالخلافة الراشدة والتاريخ الأموي، فالعصر العباسي ثم العصر الحديث.(أبو خليل شوقي، 1987 : 49 - 141)

ويمكن القول بناء على ماسبق أن هناك جوانب إيجابية وقيمة ومفيدة أسهم بها المستشرق كارل بروكلمان بينما هناك آراء جانب فيها الصواب.

الخاتمة:

ويمكن بيان ملخص هذه الدراسة في كونها سلطت الضوء على إسهامات المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة في بيان إنجازات الحضارة العربية الإسلامية في المجالات العلمية التجريبية منها والنظرية، ولم تكتف بذلك فحسب بل أوضحت تأثيرها في النهضة الأوربية بالحجة والبينة والبرهان. ولم يقتصر الأمر على هونكة، ولكن امتد هذا الإسهام إلى امرأة أخرى ألا وهي آن ماري شيمَّل التي بينت سماحة الإسلام، و هذه القيمة السامية وغيرها من القيم أثرت في شخصيات أخرى أسلمت و دافعت عن الإسلام ومنها المستشرق مراد هوفمان. كما نستنتج من هذا البحث مدى تأثير المحاضرات القيمة التي ألقاها المستشرق برجشتراسير في مجال تحقيق المخطوطات، وقد تبين لنا من خلال الدراسة أهم شهادات التقويم الإيجابية الاستشراقية في بيان حقائق حاولت بعض الأقلام الغربية طمسها من سجل التاريخ الإنساني، وضرورة الاستفادة من الفهارس القيمة التي أعدها مستشرقون ألمان على غرار المستشرق فلوجل وجهده الكبير في فهرسة المكتبة الوطنية النمساوية التي تحتوي على درر ونفائس المخطوطات العربية الإسلامية، كما يتجلى لنا في المقابل ضرورة تمحيص بعض الدراسات التاريخية التي جانبت الصواب في بعض المواضع، ولم تتحر الموضوعية، خصوصا فيما يتعلق بتاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان .

ومن أهم النتائج المتوصل إليها هي :

- أهمية طرق موضوع الاستشراق عبر منهج وسطي معتدل يتعامل مع الإنتاج العلمي الاستشراقي؛ فيميز بين الآراء الحصيفة القيمة على غرار المستشرقة زيغريد هونكة ويكون موقفنا منها ايجابيا إفادة واستفادة، ويذر ما هو مناوئ لحضارتنا وقيمنا، فالحكمة ضالة المؤمن و حيثما وجدها فهو أحق بها ولو كانت من فم مستشرق.
- اتجه الاستشراق الألماني المنصف إلى الحضارة العربية الإسلامية، فأدى خدمات لا تنكر سواء بأبحاثه ودراساته الجادة وتحقيقه ونشره لعيون الأدب العربي ودرر ونفائس المخطوطات العربية ونفضه غبار الإهمال والنسيان عن كثير من المؤلفات .
- ركب عدد من المستشرقين الألمان موجة الشطط في إصدار الأحكام التعسفية ، وبث الأراجيف، ولكن انبرت أقلام إسلامية واستشراقية ألمانية لتقويض بنيان آراء ثلة من المستشرقين المجحفين التي تم بناؤها على شفا جرف، ومقارعة أفكارهم بالحجة والدليل، وهذا في ظل الاصطفاف ضمن جبهة الموضوعية والإنصاف .
- هناك تباين شاسع في مواقف المستشرقين الألمان من الحضارة العربية الإسلامية .
- ساهمت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة في تأسيس خطاب استشراقي هادف ورزين .

ينبغي تثمين البحث الاستشراقي المنصف الذي شكل قيمة علمية مضافة تتجسد في النشر درر ونفائس المخطوطات العربية الإسلامية. الردود النقدية يجب أن تكون مفحمة تتوخى الموضوعية،وتتحاشى أسلوب التعني، وتنأى عن التعميم المجحف، فتقرع الفرية وتبدد مظانها.

أما فيما يتعلق بالآفاق التي يمكن أن تفتحها النتائج المتوصل إليها، والتي يمكن أن تفتح مسارات جديدة ومكملة للبحث المنجز؛ فتتمثل في ضرورة فتح أبواب الحوار والمناظرة ممارسة وكتابة مع الآخر في ظل ظروف يسودها الحكمة والموعظة الحسنة، بغية الإقناع وتوضيح الحقائق وإزالة الآراء المغلوطة، كما نقترح فتح أقسام مختصة بالدراسات الاستشراقية تابعة لكل التخصصات المتعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، كما نوصي بتخصيص أعداد مستقلة

من مجلات علمية محكمة بالدراسات الاستشراقية على غرار مجلة المواقف الرصينة.

المراجع :

- بارت، رودي، (2011). **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**،ترجمة: مصطفى ماهر،القاهرة :المركز القومي للترجمة.
- بدوي، عبد الرحمان، (2015). **موسوعة المستشرقين**،بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- برجشتراسير،جوتهالف،(1982). **أصول نقد النصوص ونشر الكتب** ،إعداد وتقديم:محمود حمدي البكري، الرياض: دار المريخ.
- جحا،ميشال، (1983). «الدراسات العربية والإسلامية في أوربا». **الفكر العربي**، معهد الإنماء العربي ، العدد 31، 182 – 187 .
- الجنابي،أمجد ،(2015).**آثار الاستشراق الألماني**،الرياض:مركز تفسير للدراسات القرآنية.
- حميش،بنسالم ، (2011). **العرب والإسلام في مرايا الاستشراق**، القاهرة:دار الشروق.
- أبو خليل، شوقي، (2011). **أطلس انتشار الإسلام**، دمشق: دار الفكر.
- أبو خليل ، شوقي، (1987).**كارل بروكلمان في الميزان**، دمشق: دار الفكر.
- خليل،عماد الدين، (2009). «قراءة في كتاب دفاع عن الإسلام تأليف المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري». **إسلامية المعرفة**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 55، 157 – 180.
- الدقيقي، رضا محمد، (2011). **كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني ترجمة وقراءة نقدية** ، الكويت: دار النوادر.
- الذهبي،أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان،(2003).**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**،بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- زناتي ،أنور، (2006). **زيارة جديدة للاستشراق**،ط01. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية.
- الزيات ،أحمد حسن، (د.ت). **تاريخ الأدب العربي**،ط01. القاهرة: دار نهضة مصر.
- السباعي، مصطفى، (2013). **الاستشراق والمستشرقون**، القاهرة: دار السلام.
- سعيد، إدوارد ، (1996). **تعقيبات على الاستشراق**،ترجمة وتحرير:صبحي حديدي،عمان: دار الفارس.

محمد عيساوى
mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

- سعيد، إدوارد ، (2006). **الاستشراق : المفاهيم الغربية للشرق**،ترجمة :محمد عناني، القاهرة: رؤية للنشر.
- سمايلوفتش، أحمد ، (1998). **فلسفة الاستشراق**، القاهرة: دار الفكر العربي.
- السيد،رضوان، (2007). **المستشرقون الألمان** ، بنغازي: دار المدار الإسلامي.
- السيد،رضوان، (2016). **المستشرقون الألمان** ، بنغازي: دار المدار الإسلامي.
- شايب، لخضر، (2002). **نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي** ،الرياض: مكتبة العبيكان .
- عايش، محمد، (2008). **فهرس المخطوطات العربية**، جدة: مؤسسة السقيفة العلمية.
- عبد الرؤوف، محمد عوني، (2004).جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- علي، جواد، (2011). **أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام**،دراسة ومراجعة نصير الكعبي ،بيروت: المركز الأكاديمي للأبحاث.
- الغزالي ، مشتاق، (2008). **القرآن الكريم في دراسات المستشرقين**، دمشق:دار النفائس .
- ابن فارس ،أبو الحسين أحمد ،(د.ت).**معجم مقاييس اللغة**،تحقيق عبد السلام هارون. دمشق:دار الفكر.
- فوك ، يوهان، (2001). **تاريخ حركة الاستشراق : الدراسات العربية و الإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين** ، بيروت :دار المدار الإسلامي .
- ابن نبي، مالك،(1969). **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي** ،ط01.بيروت :دار الإرشاد.
- المنجد،صلاح الدين، (1955). **المنتقى من دراسات المستشرقين**،القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- المنجد،صلاح الدين، (1987). **المستشرقون الألمان**، بيروت: دار الكتاب الجديد.
- المنجد ، صلاح الدين، (1987). **قواعد تحقيق المخطوطات**، بيروت: دار الكتاب الجديد.
- معروف،بشار عواد،(1986).**الذهبي ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام**.مصر:مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- ابن منظور،جمال الدين محمد ، (2005). **لسان العرب**،بيروت:دار صادر .

- المطوري،محمد سعدون، (2009). « الاستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية ». **دراسات استشراقية** ، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، العدد 03، 191 – 266 .
- الندوي ،عبد الله عباس ، (1996). **ترجمات معاني القرآن الكريم و تطور فهمه عند الغرب**،الرياض:منشورات رابطة العالم الإسلامي.
- النملة ،علي إبراهيم،(2013). **الاستشراق بين منحيين**،الرياض:مكتبة الملك فهد .
- هارون،عبد السلام، (1998). **تحقيق النصوص ونشرها**، ط07. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- هونكة، زيغريد ،(1993). **شمس العرب تسطع على الغرب**، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط 08 . بيروت: دار الجيل والآفاق الجديدة.
- هونكة، زيغريد، (1996). **الله ليس كذلك**، ترجمة غريب محمد، ط02. القاهرة: دار الشروق.
- هوفمان ويلفريد، مراد، (1993). **يوميات ألماني مسلم**، ترجمة عباس رشدي،ط01. القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية.
- هوفمان ويلفريد، مراد، (1997). **الإسلام كبديل**،ط02. الرياض: مكتبة العبيكان.
- هوفمان ويلفريد، مراد، (1998). **الطريق إلى مكة** ، القاهرة: دار الشروق.
- وزان عدنان محمد، (1984). **الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر**، مكة : رابطة العالم الإسلامي.

للإحالة على هذا المقال:

- محمد عيساوي، (2022)، «**رُوَّاد الاستشراق الألماني والحضارة العربية الإسلامية "إسهامات علمية واستدراكات نقدية"**» . **المواقف**، المجلد: 17، العدد: خاص، جانفي 2022، ص. ص 731- 759.